والاستقلال الوطني» (ص ١٣٤)، وهنا، تنبع خطورة مثل هذا القول، الذي يمكن تفسيره حالا «بالخيانة الوطنية»! وتنبع أيضا مدى اللامسؤولية التي يتميز بها وادي صاحب القول. إنه هنا لا يقدم حكما «أدبيا» كما يمكن أن يبدو للوهلة الاولى، بل حكما سياسيا، ومحاسبة وطنية خطيرة، لو تبنتها محكمة من المحاكم لكان مال صاحبها الشنق! فبأي حق يصبح وادي الوكيل على القضية الفلسطينية، يدين من يشاء، ويبرىء من يشاء؟ لنقف مرة اخرى على مدى لا مسؤولية الناقد وسهولة تقييمه النابع من وهمه حول نفسه كحكم مطلق. أهذا هو النقد «الجيد» لأدب «سيء»؟

وأنا، في هذا المقام، اريد أن أذكّر السيد الناقد بقرار السلطات الصهيونية عندما منعت تداول كتابي «العصافير لا تموت من الجليد» في الوطن المحتل. أيأتي هكذا القرار لأن أدبي «يعرقل» مسيرة النضال الفلسطيني أم لأنه يعرقل دوام الاحتلال الصهيوني ويساهم بقسطه الأبسط في التحرير؟ إنه نقد سيء حقا ذلك الذي يؤكد أوهام صاحبه دون أن يفند إلا رغبته في تعميق تلك الأوهام، فيستحق عن جدارة «وسام زرقاء اليمامة» (ص ١٣٢).

وختاما، لا بد من الاشارة إلى أنه لا يوجد أدب «سيء» وأدب «جيد» بمثل هذا الطرح الأخلاقي الأحادي الجانب، وإنما هناك مستويات للأدب تحاول الاقتراب من «الجيد» أو المثل الأعلى الجمالي، وإلا لكان معظم الأدب العربي أدبا سيئا. والسيد الناقد لم يكلف نفسه عناء الاقتراب النقدي من محاولة اقتراب أدبي المتواضعة من «الجيد» – وهنا يمكن الاتفاق والاختلاف – عن طريق تحليل نصي صبور وشاق يقول فيه ما للكاتب وما عليه بنزاهة.

أفنان القاسم